هناك الى ١٩٢٠ تحت حكومة دنيكين وقد جُهّزت الجيوش البيض مع مساعدة انكلترة لمحاربة البلشفيك. ولم تكن مساعدة الانكليز لنا مساعدة صداقة حقيقية اذ كانوا يمدُّونا باسلحة وذخائر لا تصلح للقتال. وسادت الفوضى في البلاد وعمَّ فيها النهب والقتل والحريق. وكانت الحرب سجالاً بين البيض والحمر وكلُّهم دأبُهم الخراب

واذ كنتُ حائزاً على شهادة المأذونية في الحقوق عيَّنوني مستنطقاً في المحكمة الَّا انَّ ايام الحكم والنظام لم تدُم فاضطررتُ الى مغادرة البلاد حفظاً على حياتي. فركبتُ البحر الاسود وسافرت الى القسطنطينية حيث كان الحلفاء محتلين البلاد. ثم سافرت الى بلاد الصرب والبلغار وعدت الى القسطنطينية ومنها ابحرتُ مع المحالفين الى بيروت في العام ١٩٢٢ ولم ازل في سورية الى اليوم

الآداب العربيّة

في الربع الاول من القرن العشرين

القسم الرابع

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

البحث الثاني

النظر العامّ في الآداب العربية حاضراً (تتمة)

والآداب العربيَّة في ﴿فلسطين﴾ ضيقة النطاق لا يكاد يُعنى بها غير النصارى وقليل من المسلمين في القدس الشريف وفي السواحل كيافا وحيفا بنشر بعض الصُّحُف

امَّا ﴿الهند﴾ فانَّ الدروس العربيَّة فيها حاضراً منحصرة في بعض جامعاتها كبومبَي وكلكته ولوكنو ودلهي وحيدرآباد ومدرس والهاباد وجامعة پنجاب في لاهور وعليگره ففي هذه الكليَّات فرعُ لتعليم العربيَّة اذ لا غنى لاهلها المسلمين عنها

لمعرفة القرآن والتآليف الدينيَّة . وهناك ايضاً بعض المطابع اخذتها في كلكتَّه . ومعظم مطبوعات الهند العربيَّة طُبعت على الحجر وما يُطبع على الحروف لا يزال سقيماً ما خلا بعض مطبوعات كلكتَّه وحيدرآباد . والغالب على اهل الهند المسلمين الهندستانيَّة والأردو وعلى الهنود الغوجراتي والتامول وغيرها

وان وجَّهنا النظر الى ﴿اميركا﴾ وجدنا انَّ الاداب العربيَّة مدينةٌ فيها للمهاجرين اليها من المسيحيين عموماً واللبنانيين خصوصاً . وقد ابتدأت هذه الحركة اوَّلاً في ﴿اميركا الجنوبيَّة﴾ ولاسيما في (البرازيل) . فترى اليوم في عاصمتها ريو دي جانيرو جرائد مهمَّة كالهدى والبريد . وفي حاضرتها سان باولو شاع منها ابو الهول لصديقنا البكيفاوي شكري افندي الخوري ثمَّ الميزان والافكار وفتى لبنان . وقد اشتهرت في جمهوريَّة (الارجنتين) عاصمتها بوينس ايرس عدَّة جرائد كالمُرسَل والسلام والزمان . وفي مدينتها طوكومان جريدة صدى الشرق . وفي كردوبا (قرطبة) العصر الجديد . وما عدا الجرائد قد صدر في اميركة الجنوبيَّة كتب عربيَّة قليلة معظمها الروايات وبعض تآليف ادبيَّة وعلميَّة وتاريخيَّة

واليوم صار الساق ﴿لاميركة الشماليَّة﴾ فانَّ كثرة المهاجرين اليها دعت ادباءها هناك الى العناية بحفظ لغتهم ونشر آدابها بين مواطنيهم المستوطنين في انحائها . وهذه الحركة تلوح خصوصاً في عاصمتها نيويرك فجرائدها الهدى والشعب والسائح والنسر السوري في (بروكلين) والمجلة التجاريَّة السوريَّة تكاد تجاري بعض الجرائد الوطنيَّة . وفي ديترويد جريدة الصباح . وقد طُبع في اميركة الشمالية عدَّة مطبوعات دينيَّة وادبيَّة وعلمية متقنة الطبع

على انَّنا نرتاب في ثبات اللغة العربيَّة سالمةً في اميركة لأن المهاجرين اذا استوطنوا تلك البلاد يتزوجون باهلها امتزاج الماء بالراح فسرعان ينسون لغتهم الاصلية كما جرى لكثيرين ثمَّ يتأثرك اولادهم

وفي ﴿اميركة الوسطى﴾ جريدة الرفيق في مكسيكو

وان اطلقنا رائد البصر على ﴿افريقية﴾ وجدنا نصيب الآداب العربيَّة زهيداً خارجاً عن مصر إلَّا انَّ فرنسة سعت في تعزيز اللغة العربية بين مستعمراتها الشماليَّة ففتحت المدارس لتعليم الوطنيين في الجزائر ووهران وفي تونس . ولا تخلو عاصمة

مراكش من مدارس وجرائد . وفي رباط تجريدة السعادة . وفي طرابلس الغرب مطبعة ومدرسة عربيتان . وكذلك في زنجبار . على انَّ اخبار تلك الجهات منقطعة عنَّا فنجهل غالباً حركة آدابها

امَّا ﴿اوربَّة﴾ فانَّ الفضل في خدمة الآداب العربيَّة عائد الى المستشرقين وخصوصاً اللذين تنفق عليهم دولهم الكريمة المبالغ الطائلة في جامعاتها الكبرى فتخصص لدرس العربيَّة بعض علمائها . ففي باريس ورومية وبرلين ولندن ومدريد وڤينة وليننغراد معاهد لدرس اللغات الشرقيَّة وفي مقدَّمتها اللغة العربيَّة . وكذلك في جامعات العواصم المذكورة وغيرها كبوردو في فرنسة وليدن في هولندة وكوبنهاغ في دنيمارك وبونّ وليبسيك وغوطا وغوتنجن وهيدلبرغ وهمبورغ ومونيخ في المانية اساتذة لتعليم العربيَّة . وفي كل هذه المدن خزائن كتب عربيَّة مخطوطة يستخرجون منها كنوزًا ادبيَّة ينشرونها بعد مقابلتها على نسخ مختلفة وربَّما اضافوا اليها ترجمتها الى لغاتهم ويصدّرونها بالمقدّمات الواسعة ويطقون عليها الحواشي التاريخيَّة واللغويَّة ويختمونها بالفهارس الجليلة تسهيلًا لاجتناء فوائدها

ولا يسعنا ان نسكت في آخر هذا الباب عن مساعي فاضلات السيّدات في أيامنا الى ترويج الآداب العربيَّة بين بنات جنسهنَّ في بيروت ومصر والاسكندرية وفي بعض انحاء اميركة . وسنذكرهنَّ في البحث التالي ان شاء الله

البحث الثالث

نظر خاصّ في انصار الآداب العربيَّة حاضرًا

كنَّا عوَّلنا على ان نقف عند هذا الحدّ ولا نتصدَّى لذكر الاحياء من ارباب الادب وخدّمة الاقلام لعلمنا كم يصعب الكلام عمَّن لا يزالون في قيد الحياة امَّا بالتفريط وامَّا بالتقصير مع الخطر بنسيان من يستحقّون الذكر فتفوتنا اسماؤهم او اعمالهم . لولا انَّ بعض الاصحاب ألحُّوا علينا بكتابة هذا الفصل ليكون كخاتمة لِما سبق مستندين على المثل «ما لا يستطاع جُلُّهُ لا يُهمل قلُّهُ» . واجابةً لهذا الملتمس نقسم هذا البحث الاخير الى اربعة ابواب فنذكر اوَّلًا اعمال ارباب الكهنوت لخدمة

الآداب العربيَّة ثمَّ نتخطى الى ذكر ادباء الاسلام حاضرًا فناحقهم بالادباء النصارى ونختم بذكر المستشرقين

١ الآداب العربيَّة بين ارباب الكهنوت

يسرُّنا ان نرى في الاكليروس الوطني عالميًّا كان او قانونيًّا هبَّة محمودة في خدمة الآداب العربيَّة

﴿الاحبار الشرقيُّون﴾ على الرغم من الاعباء الثقيلة التي تهبط مناكب احبار الطوائف الشرقيَّة تراهم في خُطَبهم على المنابر وفي الحفلات الرسميَّة وفي مناشيرهم يراعون كلَّ آداب اللغة لفظًا ومعنى. وكثيرًا ما تُنشر في الجرائد او في نشرات منفردة هذه الآثار الجليلة فتستوقف نظر القرَّاء ويجذبون تذليلها. فلمصري لو جُمعت مناشير غبطة البطاركة الاجلَّاء والسادة الاساقفة في اسفار خاصَّة لكانت احسن شاهد على قولنا. وقد امتاز في ذلك غبطة البطريرك الماروني ﴿مار الياس الحويك﴾ الكلي الطوبى فمناشيرهُ تبلغ نحو ٥٠٠ صفحة. ونقرأ اليوم على صفحات البشير منشور غبطة السيد ﴿كيرلُّس التاسع﴾ بمغيب بطريرك الروم الملكيين الكرام في العدل وواجباته. ومثلهما بطريرك الكلدان السيد ﴿عمانويل يوسف توما﴾. امَّا السيد الجليل ﴿اغناطيوس افرام الثاني الرحماني﴾ فلم يكتفِ بالمناشير وها هو منذ العام الماضي يتحفنا بجلَّة الآثار الشرقيَّة المدبَّج معظمها بقلمه والمحتوية على درر معلوماته

ومثل غبطة البطاركة كثيرون من الاساقفة يخدمون ايضًا لسانًا وقلمًا آدابنا العربيَّة. أفيجمل احد تعريب سيادة المطران ﴿بولس عوَّاد﴾ رئيس اساقفة قبرس لخلاصة القديس توما اللاهوتيَّة في خمسة اجزاء؟ وها هوذا سيادة المطران ﴿باسيليوس قطان﴾ باشر بنشرة بطرانيَّة بيروت وجبيل. ونشر السيد ﴿اغوسطين البستاني﴾ رئيس اساقفة صيدا قبل تسقيفهِ الكوكب السيَّار في رحلة غبطة البطريرك الماروني الى رومية وباريس والاستانة. ولرئيس اساقفة بيروت السيد ﴿اغناطيوس مبارك﴾ آثار دينيَّة كخطب ومواعظ ومناشير جميلة. ومثلهُ السيد ﴿انطون عريضة﴾ رئيس اساقفة طرابلس. وقد نشر سيادة المطران ﴿ميخائيل اخرس﴾ رئيس اساقفة حلب كتبًا دينيَّة وتاريخيَّة وطقسيَّة نخص منها بالذكر الكتاب العجيب وترجمة القس الحلبي يوسف الكلداني.

وللسيد ﴿بشاره﴾ الشهالي كتابة الحديث في الشهداء الطوباويين الثلثة الموارنة

﴿كهنة الموارنة العلمانيون﴾ امّا الكهنة فلهم مآثر متعدّدة في كل مللهم . فمن الموارنة اشتهر في عهدنا كتبة متعدّدون بين العالمين فيفتخر الحليُون بكاهنهم الجليل المنسيور ﴿جرجس منش﴾ لهُ تآليف متعددة ومقالات دينيَّة وتاريخيَّة وادبيَّة قد نشرنا قسماً منها في المشرق كترجمة الطيب الذكر السيد فرحات ولهُ شذور الذهب والحقّ القانوني عند الموارنة وطرفة في الرهبانيَّة الثالثة الفرنسيسيَّة ونشر اعمال بعض المجامع المارونيَّة وكتباً طقسيَّة لطائفته . وفي حلب ينشر القس ﴿اغناطيوس سعد﴾ مجلَّتهُ التقويَّة في القربان الاقدس يودعها مقالات حسنة في الدين والاخلاق والادب

وفي بيروت كهنة موارنة يشرّفون طائفتهم بقلمهم كشمرانهم المفلقين الخوري ﴿رافائيل البستاني﴾ صاحب القصائد الرنّانة المنشورة في البشير والمشرق . والخوري ﴿بطرس البستاني﴾ صاحب آداب المراسلة والرسائل العصريَّة والمنظومات البديعة والخوري ﴿بولس البستاني﴾ مؤلف رواية فتاة الناصرة التمثيليَّة ومعرّب قدوة الحسان في ابنة رولان تمثيليَّة ايضاً . وفي عاصمة لبنان تُنشر منذ تسع سنوات رسالة السلام لحضرة الخوري ﴿انطون عقل﴾ ولهُ آثار اخرى متفرّقة . وقد عرَّب الخوري ﴿الياس الحائك﴾ رواية الاب لونجي اليسوعي التاريخيَّة المتونة فيليب اوغست في معركة بوفين

ومن افاضل كهنة بيروت ذوي الآثار الجميلة المنسيور ﴿مخائيل حويس﴾ رئيس مدرسة الحكمة مؤلف كتاب الطالب المحتوي على واجبات طلبة المدارس . والخوري ﴿يوحنا الحاج﴾ مؤلف المقالات في المدارس العلمانيَّة . والخوري ﴿منصور عوّاد﴾ واضع كتاب الزوجة الامينة . وكتاب هل من جزية على الاكليروس او خراج ؟ وماذا عمل الخوري ؟ وافعال لا اقوال مع عدَّة قصائد نُشرت في المشرق . ﴿والخوري بطرس غالب﴾ صاحب مختصر اللاهوت الادبي وكتاب فرنسة « صديقة وحامية » والمسيح الملك في طقوس الكنيسة السريانيَّة المارونيَّة ونوابغ المدرسة المارونيَّة في رومية المنشورة في المشرق . وللخوري انطون عين كتاب سنت المراسلة وبنات الشرق . والظرف والادب على منهاج الافرنج والعرب . ولبنان في الحرب وحقائق تاريخيَّة ودروس وطنيَّة والمؤامرة اليهوديَّة على الشعوب . ومن اغزرهم مادَّة حضرة الخوري ﴿مارون غصن﴾ فمن قلمهِ بستان السلوى والعثمانيات

ودرس ومطالعة واللغة العامّيّة وخطاب ومحاضرة في سرّ الزواج وقصائد وانشيد شتى وترجمة الطوباوي كوتولنكو وروايات نثريّة وتمثيليّة معرّبة كرواية الشبح الهائل والملكين وهرقل الملك والكاهن او الانتقام الشريف والبركة بعد اللعنة ودفاع الابن عن ابيهِ

وان صعدنا الى لبنان وجدنا ايضاً كثيرين من افاضل كهنة الموارنة خدموا الآداب العربيّة بتآليفهم النفيسة ففي الدار البطريركيّة المنسيور الخوري اسطف ﴿بطرس مبارك﴾ معرّب سيرة السيد المسيح للاب لا كماي (Le Camus) ولهُ مجموع مواعظ تحت عنوان تنبيه الغافل وشذور الذهب من حياة القديسة ترازيا الطفل يسوع وقد عرّب كتاباً اوسع من تاريخ هذه القديسة حضرة الخوري ﴿يوسف عوّاد﴾ دعاهُ زهيرة حبّ في بستان الربّ . وفي الدار البطريركيّة العامرة ايضاً حضرة الخوري ﴿ بولس طعمه ﴾ من كتبة اسرارها ومحرّر سابقاً جريدة البشير زمناً طويلاً ومنشئ مقالات شتى فيها وفي المشرق

ومن مشاهير كتبة لبنان من كهنة الموارنة الخوري ﴿يوسف العشيّ﴾ لهُ كتاب الاجوبة السديدة على اعتراضات اعداء الدين وتعريب كتاب التعاليم الانجيليّة والحقيقة المتبرّة وصناعة الانشاء في التأبين والرثاء ثمّ تأابين المطران يوسف النجم وفارس كرم وحقيقة الماسونيّة ومنشور البطريرك وازاهير القلوب لعيد القلب المحبوب ورواية سجين جيجاج ومأساة الاميرين الاسيرين وترجمة الخوري يوسف طنّوس يمين ثمّ مقالات ادبيّة وفلسفيّة ظهرت في مجلّة المشرق . وفي جهات المتن حضرة الخوري ﴿الياس الجميّل﴾ صاحب كتاب اللاهوت النظري في تسعة اجزاء وافية . ولهُ لمحة تاريخيّة في البابا والمجامع السبعة المسكونيّة . وفي المتين الخوري ﴿يوسف ابو سليمان﴾ صاحب الروايات التاريخيّة الشعريّة والنثريّة المعرّبة كوديعة الايمان في ضواحي لبنان وابدالونيم ملك صيدون ولويس دي غونزاغا ومعرّب كتاب الكوكب الشارق وناظم قصائد في المشرق

واشتهر بكتاباتهِ حضرة المرسل اللبناني الخوري ﴿ابراهيم حرفوش﴾ مجدّد طبع اللاهوت الادبيّ للاب غوري اليسوعيّ ومضيف اليهِ ملحوظات متعدّدة . ولهُ قدرة الصلاح في ترجمة الاب اسطفان قزاح ومقالات نفيسة في المشرق عن اديار لبنان وآثارها الجليلة ومكاتبها وسياحات رسولية شتّى . وفي بكنتا المنسيور البرديوط ﴿ بطرس

حبيقة ﴾ مؤسس مدرستها ومنشئ التآليف الذائعة كاللآلئ الفلسفيَّة وانفاس الطلَّاب في مظهار الكتاب في ثلثة اجزاء ونبذة في فنّ التاورين وخطبة في اثبات سرّ القربان الاقدس ومقالة في مار افرام وسرّ الافخارستيا مع شهادات الكنيسة السريانيَّة في هذا السرّ ثمَّ اناشيد الموارنة السريان فيه وشهاداتهم في الالقاب المريميَّة وتأبين البطريرك بطرس الحاج والمطران بطرس البستاني ونشر رياضة روحيَّة للسيد جرمانوس فرحات وله ستة تآليف نثريَّة وشعريَّة في ذكر ترجمة واعمال ومحامد غبطة البطريرك ماري الياس بطرس الحويّك

وفي مزرعة كفردبيان حضرة الخوري الواسع الفضل ﴿ جرجس فرج صفير ﴾ الذي تخصَّص بالدروس الفلسفيَّة واللاهوتية فنشر كتابهُ في اصل الانسان والكائنات دحضاً لمذهب التحوُّل وكتاب الفلسفة (جزءان) والقواعد المنطقيَّة تعريب كتاب الاب ترنجورجي اليسوعي ومناجاة النفس (بالشعر) والاخاء المتين بين العلم والدين وكشف الستار عن حريَّة الاختيار والاعتراف والمسيح في القرآن والقلادة الذهبيَّة في التأمُّلات الانجيليَّة ومختصر التعليم المسيحي في الكنيسة والطوائف . ولابن اخيهِ الخوري ﴿ بطرس فرج صفير ﴾ مقالات دينيَّة وادبيَّة في المشرق وكتاب التعليم المسيحي

وقد خدم الآداب العربية شعرًا ونثرًا الخوري ﴿ يوحنَّا طنُّوس ﴾ طُبع من رواياته التمثيليَّة البطريرك جبرائيل حجولا الشهيد والنعمان ملك الحيرة في بني شيبان ونشرَ في البشير والمشرق قصائد رنَّانة . ومنهم في بيت شباب الخوري ﴿ ميخائيل غبريل ﴾ لهُ مصنفات عديدة كأدب البشر في الصغر والكبر وتاريخ الكنيسة الانطاكية السريانيَّة المارونيَّة في ثلثة مجلَّدات ومشهد الكائنات في الارض والسماوات وترجمة المطران يوسف الزغبي والدرَّة الفريدة في افدوكيا الشهيدة ومختصر اللاهوت الادبي مع الخوري بطرس غالب ومجموعة في مديح الوزير سليم اللحمة وكتاب صلوات ومختصر التاريخ المقدَّس وتعريب التعليم المسيحي والبابا بيوس العاشر . وهناك ايضاً الخوري ﴿ حنا الحائك ﴾ معرّب كتاب الخوري كنيب « علاجي بالماء البارد » وكتاب تنشئة الصغير وألف كتاب تذليل الصعاب في علم الحساب

ومنهم حضرة الخوري ﴿ اغناطيوس جعجع ﴾ مؤلف كتاب رياضة الكاهن ومعرّب مختصر تأمُّلات الاب لويس الجسري وقسماً من رياضات القديس اغناطيوس

مع شروح الاب جانسو . ثم الخوري ﴿يوسف داغر﴾ الذي نشر كتابين نفيسين مصباح الحقائق والبرهان الصريح في الدين الصحيح — والخوري ﴿بطرس القزح﴾ الجلاء الاسرار المكنونة في يوم الدينونة ومقالة في الاعتقاد الباطل . والخوري ﴿بطرس مراد﴾ له كتاب دعوة الحبيب الى السر العجيب وكتاب جميلة ومصباح الرشد في عجائب لُرد وكتاب في الحساب ورواية القديس انطونيوس البادوي وعرب البادئ الدينية لبليس

وخارجاً عن لبنان قد اشتهر من كهنة الموارنة في مصر حضرة الخوري ﴿لويس ملحة﴾ بمقالاته الاثرية والكتابية في مجلة المشرق . والخوري ﴿بولس عويس﴾ صاحب التآليف القانونية في المجمع الاقليمي وفي مجمع الابرشية وزيارة الابرشية وقانون الدواعي الزواجية (جزءان) وشرح على حكم المجمع المقدس في التناول اليومي والموت الحقيقي والموت الظاهر واكرام سيدتنا مريم العذراء . وحريق مكتبة الاسكندرية وسير القديسين مارون ويوحنا مارون وانطونيوس البدواني وروكز ويوحنا دي لاسال

وفي فرنسة المنسيور ﴿ميخائيل فغالي﴾ احد اساتذة كلية بوردو ألّف كتباً لغوية نفيسة في لغة وطنه كفرعبيدا وفي السرياني الدخيل في لهجة لبنان واوصاف بناياته المنزلية وفي الدلالة على الاجناس في اللغات السامية

وفي اميركة نشر الخوري ﴿اسطفان خيرالله﴾ اللاهوت الادبي والانسان وعلم الطبيعة والكيان والمنطق الانتقادي العلمي وعجالة البيان في الاشارة الى ممالك الطبيعة والانسان ولباب المباحث الجدلية وسبيل الوصول الى الاصول — وهناك ايضاً المنسيور ﴿فرنسيس واكيم﴾ المرسل الرسولي له كتاب لغز الحياة وكتاب سر التوبة والحرية ومختصر في المناولة المتواترة — ونرتاب هنا في ذكر كاهن ماروني آخر عدل الى العيشة العالمية بعد نبذ كهنوته ﴿حبيب اسطفان﴾ وكان نشر عدة مقالات نثرية ونظمية دينية وفلسفية في المشرق وهو اليوم يحرّر في الجرائد ويخطب في النوادي السياسية انارهُ الله !

(الما بقية)